عن الكلمات المفاتيح ، حاول أستاذى أمين أن يعقد صلة ثلاثية بين الفلسفة والتضارب وكلمة (سر) وإحساس بالنقص يراود أبا العلاء بين حين وحين .

والواقع أن رغبة الأستاذ أمين فى الخروج إلى مباحث الأسلوبية متعددة النواحى . وفى سبيل العثور على هذه الكلمات المفاتيح كان يلح على ضرورة تتبع المعانى الاستعمالية للألفاظ فى كل كتاب نقرؤه ، وكان يرى أن المعانى الاستعمالية فى تنوعها ووحدتها هى التى تهدى إلى لباب الدرس الأدبى ، إن المرء لايستطيع أو لا يحتاج إلى تتبع كل كلمة ، ولكنه يختار ببديهة نافذة طائفة من الكلمات يتوسم فيها أصالة النظر ولباب التجربة ، ويظل يجرب هذا الفرض من خلال مقارنات مضيئة بين كلمات كبرى لأنها تؤلف المعانى الكبرى المتميزة من المعانى الصغرى . وعلى هذا النحو مضى الأستاذ أمين إلى القول إن تعمق اللغة يعوز الدرس الأدبى . ومضى فصرح بأن الوقت لم يحن بعد لتأريخ الأدب العربى ، وكيف يمكن لنا أن نقيم هيكلا واسعا من الأفكار ، وقدرتنا على تعمق لغة النص ماتزال غضة . هذا درس قديم حديث أحسبنى محتاجا إلى أن أذكر نفسى به .

وكثير من الدراسين اللامعين الآن لايميلون إلى تاريخ الأدب بمعناه الدقيق ، وهم أقرب إلى تناول مسائل مفردة ، وأوفر حظا من العناية باللغة . ولكن عليهم أن يصلوا عقولهم بما صنعه الآباء وإلا وقعنا فريسة للاغتراب والتناحر الذى يشتت الجهد ، ويورث الضغينة . خليق بنا أن نحيى علاقتنا بالرواد جميعا،وأن نراهم فى ضوء اهتمامنا العصرى باللغة ، ربما تغيرت صورتهم فى أذهاننا عما ألفناه حتى الآن .

هناك درس ثان يستقى من العناية بآثار أمين الخولى . ولعلى لا أجانب الصواب ـ كثيرا ـ إذا قلت إن توزع الاختصاص بين ما يسمونه بلاغة وتفسيرا وأدبا وأصول فقه قد جار على الوحدة بين هذه الميادين . وكان أمين الخولى مشغولا بما بين هذه الآفاق من تبادل الأثر ، وكانت وظيفته فى حركة الرواد نابعة من اجتماع ميادين متعددة فى بؤرة واحدة . أخذ من علم الأصول ولعه بالوضوح والدقة وعلاقة اللغة بصناعة التفكير ، والتمييز بين الملائم وغير الملائم ، وأخذ من البلاغة الإحساس بالجمال ويقظة الوجدان ، وأخذ من التفسير درس فعالية النص ومشكلات أبعاده . ولا ريب كانت رسالته متميزة جامعة بين هذه الآفاق التى أشرت إليها ، ولكن الرواد أعضاء فى أسرة